موقف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) التسامحي من اليهود دراسة تاريخية تحليلية

أ.م.د. باسم صالح الجيشي/ جامعة تكريت /كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه وسلم اجمعين وبعد مثلت شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الآسره انموذجا فريدا في حياة البشر ذلك انه الشخصية الدينية والسياسية التي رأت ان التسامح اساس الحكم مع الديانات والفئات الاخرى فلم يلزمهم على ان يعتنقوا الاسلام عنوة بل كفل الدين الاسلامي للديانات الاخرى حرية العقيدة وممارسة طقوسهم بكل حرية وامان وتسامح واعترف الاسلام شرعيا بأهل الكتاب وهما اليهود والنصارى وغيرهم ممن اطلق عليهم اسم اهل الذمة وهو التعبير الذي شمل كذلك الصابئه والمجوس . ان مأثرة الاسلام التي منحته سمعته العالية لدى المنصفين من الباحثين الغربيين على وجه الخصوص في انه سمح لليهود والنصارى وغيرهم ان يبقوا على دينهم بما يعني سماحه بقيام مجتمعات من المحتمل ان تكون معادية له في الوقت الذي رفضت فيه الامبراطورية البيزنطية رفضا قاطعا وجود اي جالية اسلامية داخل حدودها فتوماس ارنولد يعترف انه لايتوفر لديه اي دليل يثبت ان الدوله الاسلامية مارست القهر والاكراه في اجبار الناس على اعتناق الاسلام وهكذا اصبحت القاعدة النظرية الاسلامية (لااكراه في الدين) مسألة عملية تطبيقية ونحن اذا ماقارنا هذا الموقف من جانب الاسلام بما حفل به تاريخ الغرب المسيحي في العصور الوسطى من تعصب وتطرف في مسألة العقيدة الدينية ادركنا مدى التسامح الذي انطوى عليه موقف الاسلام من الاديان الا خرى وخير شاهد ان النص الذي يورده ابن سحاق (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهودَ وعاهدهم واقرهم على دينهم وشرط لهم واشترط عليهم) ابن هشام ، السيرة 254 ثم احتوى هذا النص على امور منها (--- وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولامتناصرين عليهم ---) ابن هشام السيرة 254 وتضمنت الوثيقة معاني اخرى جليلة فقد نصت على (--- وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم فانه لايرتع الا نفسه واهل بيته وان ليهود بني النجار مثلما ليهود بني عوف ---) واختتمت هذه الوثيقة على جميع سكان المدينة بالقول (وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم) ابن هشام ،السيرة 255.

وهناك روايات تاريخية اخرى اذا مانظرنا الى التاريخ الاسلامي المبكر فاننا نجد ان هناك امثلة عديدة للتسامح والتعاون مع اليهود ومنها ماذكره البخاري (صحيح بخاري ،الحديث رقم 1311) ان النبي (صلى الله عليه وسلم) وقف احتراما لجنازة يهودي مرت امامه فوقف كعلامة احترام لها وبعمله هذا اظهر

احتراما وتقديرا وشاطر العائلة اليهودية والمجتمع اليهودي مشاعر الحزن انذاك وعندما سئل عن سبب وقوفه لجنازة اليهودي اجاب : اليست روح انسان وهي تعكس مدى احترامه للانسان بغض النظر عن جنسه او دينه او مذهبه

ولما علم النبي (صلى الله عليه وسلم) ان جاره اليهودي مريض زاره للاطمئنان على صحته وخلال زيارته سئله (صلى الله عليه وسلم) لماذا لايسلم ؟ فنظر الشاب المريض الى ابيه طالبا الاذن منه فما كان من الاب الا ان وافق واسلم الشاب .صحيح بخاري ،الحديث رقم 1326

ولعل من الامثلة المهمة على التسامح والاحترام اللذين اظهرهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) تجاه اليهود زواجه من يهودية وهي ام المؤمنين واسمها صفية بنت حيي بن اخطب من بني النظير وهي ابنة رئيس القبيلة وكان في هذا الزواج ترسيخ وتأكيد لتقليد كان سائدا بين العرب قبل الاسلام وهو التحالف بين القبائل عن طريق المصاهرة .

وفي الخندق في السنة الخامسة للهجرة عندما زحفت قريش من مكة بالالاف من الرجال والنساء وقبائل عربية اخرى لمهاجمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في المدينة لاستئصال شأن المسلمين الى الابد وقف سكان المدينة من مسلمين ويهود موقفا واحدا بالدفاع عنها وحمايتها ضد قريش ومن كان معها ولما علم اهل المدينة باستعدادات قريش قرروا حفر خندق حول المدينة لاعاقة تقدم العدو ومفاجأته وبعد وصول قريش وحلفائها عسكروا خارج المدينة وارسلو واحدا من رؤساء قبائلهم وهو حيي بن اخطب لقبيلة قريضة اليهودية يحثهم على خرق ونقض اتفاقهم مع النبي (صلى الله عليه وسلم) والانظمام اليهم في مهاجمة المسلمين ولكن ما ان علموا بنية قريش تلك حتى اغلق بنو قريضة ابواب قلعتهم ومنعوا حيي بن اخطب من دخولها ودعوا رئيس القبيلة كعب بن اسد من خارج اسوار القلعة مصريين على التحدث اليه فيما اثبت انه فشل اخر واخيرا وبعد ايام سمح لحيي ان يدخل الى القلعة ومع ذلك فان رئيس القلبية كعب اخبره (انك امرؤ ملعون) موضحا ان له اتفاق مع محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي لااكسره لم ارى منه اي شيء سوى الثقة وتنفيذ الوعود وبناءا على ذلك غادر حيي خائبا مذلولاً وقد روي ان حيي مع ذلك لم يكن مقتنعا واصر على العودة لكعب مع مقترحات ثمينة وحماية له من قر يش ضد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)حتى غير رأيه (ابن كثير ،البداية والنهاية 84/4) رغم ان كعبا لسوء الحظ خرق العهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تبقى هذه الرواية مؤشرا وبرهانا على مدى التعاون والعلاقة الطيبة التي حدثت بين المسلمين واليهود وفوق ذلك فان هذه الرواية تعكس مدى العلاقة الطيبة والتسامحية التي تمتع بها كل من اليهود والمسلمين على سواء خلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام ولعل ابدع صور التسامح الديني هو ماوصل مخيريق اليهودي الذي كان حبرا كبيرا وعالما وتاجرا غنيا عندما آثر ان يلحق لينصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معركة احد رغم انها كانت في يوم السبت عطلتهم عندما اوصى من وراءه من قومه (ان قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها

ماراد الله فلما قاتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((مخيريق خير يهود)) فقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) امواله فعامة صدقات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة منها ابن هشام، السيرة 263 وهناك صور اخرى كثيرة على هذه الشاكلة حواها البحث كلها تبين التسامح الديني الذي كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تعامله مع اليهود .

مثلت السماحة والتسامح أهم السجايا التي اتصف بها النبي محمدﷺ في كل شؤون حياته، وبرهنت اقواله وافعاله اليومية حقيقة، وجوهر الدين الذي جاء به الرسولﷺ، فحياته العملية مليئة بالصور الكثيرة التي وثقت صفاته الكريمة ونفسه التي كانت تواقة دوما للصفح والتسامح والعفو وهي ما جعلت الباحثين والمتابعين يقفون عندها كثيرا لأبراز تلك الصور الرائعة التي حفرت بسفر الزمن تحكي لجيل بعد جيل عن عظمة وسمو هذا النبي الكريمﷺ، واذا تتبعنا في الكتب فاننا نحتاج الى مجلدات كثيرة لحصرها، ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو ابراز العلاقة التسامحية للرسولﷺ مع اليهود باعتبارهم إحدى الاقوام التي تعامل معها فضلا عن ان الديانة اليهودية هي احدى الديانات السماوية التي انحرف دعاتها عن منهجها وأوصلوها الى ما وصلت اليه من حقد وكراهية لكل الاجناس ولكل المعتقدات ضانة انها الوحيدة الكفيلة بتحقيق ما يصبو اليه الناس، فتعالت على الانسانية بغرورها الاجوف وامست تمثل كل معاني الغدر وعدم الوفاء بالعهود والمواثيق، مما جعلها محط ازدراء الآخرين، ولكن اذا كان الحال هذا عنها فاننا سنرى من الصور التي قدمها نبي الرحمة والانسانية الذي ارسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين بقوله چ ک ک گ گ گ گ چ[1]، بتعامله معهم ومنذ اول ايام وصوله للمدينة المنورة فقد نظم ورتب امور شعبها من خلال الوثيقة التي ضمنت حقوق الجميع ممن سكن في المدينة ولم تغفل حقوق اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة ويؤججون الصراعات بين سكانها من اجل الاستحواذ عليها والتفرد بها دون غيرهم من الاقوام، وكانوا يتوعدون الجميع بنبي يختم به الله الرسالات سيكون منهم فيقتلون به العرب قتل عاد وإرم[2]، كل ذلك ليفسروا الامور كما يحلو لهم ذلك وكانوا في معاركهم الحربية يستنجدون بالنبي الموعود فينتصرون اكراما من الله لهﷺ والآية صريحة في ذلكچ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[3].

إن حقد اليهود على الاسلام ورسوله المصطفىﷺ جعلهم يغضون النظر عن حقيقة الدعوة الاسلامية ومناصبتها العداء، وأن النبي الموعود الذين كانوا يبشرون به وانهم سيكونون من اتباعه وأنه من ابناء اسحاق، فلما جعل الله خاتمة الرسالة بولد اسماعيل، تحكم بهم الهوى فانكروا صفاته وما كان في كتبهم وحرضوا اهل الشرك وناصروهم ونقضوا العهود وغدروا مرارا حتى مكن الله منهم(ﷻ).

ومن المؤكد ان وصول النبي محمدﷺ بعد الهجرة الى المدينة قد احدث ثورة في جميع مجالات الحياة الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والقضائية، مما مهد السبيل لهﷺ ان ينظم الحياة فيها بعد ان اصبح القائد الاعلى لجميع سكانها الذين ارتضوا به حاكما عليهم، مما حدا بهﷺ ان

يكتب وثيقة المدينة او دستور المدينة كما يسمى، نظم بها الحياة شاملة في المدينة ولم تغفل بنود المدينة من مراعاة الديانات الاخرى وافرزت نقاط تخص مالهم من تطلعات مستقبلية مع النبي صلى الله عليه وسلم ودولته الناشئة وتضمنت حفظ حقوقهم واعطائهم الواجبات الكفيلة بمعاملتهم على حد سواء مع المسلمين. ولتسليط الضوء على ما تضمنته الوثيقة من اشارات بحق اليهود واحترام ديانتهم وانفسهم، فان الوثيقة اشارت قال ابن اسحاق(ﷺ): [وكتب رسول اللهﷺ كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم وشرط لهم واشترط عليهم]، واشارت ايضا [هذا كتاب من محمد النبيﷺ بين المؤمنين والمسلمين ومن قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، انهم امة واحدة دون الناس....][6]، ثم احتوى هذا النص على امور منها (وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم)[7]، وافصحت الوثيقة عن معانٍ جليلة من اعتبارهم امة بحد ذاتها وان لهم حقوق ما للمسلمين (...وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمؤمنين دينهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يرتع إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف...)[8].واختتمت هذه الوثيقة على جميع سكان المدينة بالقول(وأن بينهم النصح و النصيحة والبر دون الإثم..)[9]، ان قراءة هذه البنود تبدو انها قد اقرت اليهود على دياناتهم ومعتقداتهم وانها جعلتهم في كفة توازي كفة المسلمين من الحقوق والواجباتولم تبخس انسانيتهم، وتسامت بمعانيها كل الآفاق التي رسمت من خلالها ملامح العصر الجديد للامة والدولة العربية الاسلامية الناشئة ذات البعد التسامحي والانساني وكفلت من خلالها لليهود حق الحماية والدفاع والمواطنة (وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم)[10]. ومن الثابت ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد طبق بشكل تفصيلي على الارض واقع التسامح الانساني وتكريمه للانسان بغض النظر عن دينه ومعتقده وهواه،چ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ چ [11]، وليؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فانه كما روى البخاري[12]، أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف احتراما لجنازة يهودي مرت امامه، فوقف كعلامة احترام لها، وبعمله هذا اظهر احتراما وتقديرا وشاطر العائلة اليهودية والمجتمع اليهودي مشاعر الحزن والاسى آنذاك، وعندما سئل صلى الله عليه وسلم عن سبب وقوفه لجنازة اليهودي اجاب: ((أليست روح انسان))، وهي تعكس مدى احترامه وتوقيره للانسان بغض النظر عن جنسه ومعتقده ودينه ومذهبه، وهي اسمى معاني الانسانية والتسامح الذي حمله البشر على مر العصور. ومن الصور الرائعة الاخرى على حنو النبي صلى الله عليه وسلم وحبه للناس ورأفته بهم وتفقده لهم فانه صلى الله عليه وسلم قد لمس ان جاره الشاب اليهودي لم يلعب مع الصبيان وعندما افتقده سأل عنه فقالوا له انه مريض فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا ان ذهب الى جاره اليهودي، وطرق الباب فأذن له فدخل فنظر الى الشاب المريض ودعاه الى الاسلام الا ان الشاب سكت بعد ان نظر الى ابويه ولم يجد موافقة، ثم عادها عليه الثانية والثالثة وقد رأى والدا الشاب حرص

النبي صلى الله عليه وسلم وشغفه على ابنهم المريض، فما كان من ابيه الا ان اومأ اليه وقال ((اطع ابا القاسم)) فاسلم، وهي جل ما كان يتمناه المصطفى صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب اليهودي الذي طابت نفسه للاسلام وحظي ببركة ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له،ففاز بالاسلام كما روى البخاري[13].

زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين صفية اليهودية

عُدَّ الزواج عند المسلمين واحدا من اهم العوامل التي تقوي الروابط الانسانية بين الناس واحترم المسلمون هذا الامر واعتبروه طريقا للتعارف بين الامم تنفيذا لقوله تعالىچ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ چ[14]، ولكي يغرس النبي محمد صلى الله عليه وسلم صور الاحترام للاقوام الاخرسيما اليهود، فقد اظهر تسامحا واحتراما من خلال زواجه من السيدة ام المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب[15] زعيم اليهود الذي ناصب الرسول صلى الله عليه وسلم العداء فادخر الله للسيدة صفية هذا المجد وهذا الشرف، والمصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا الزواج رسخ وأكد على تقليد كان سائدا بين العرب قبل الاسلام وهو التحالف بين القبائل عن طريق المصاهرة[16] فضلا عن الجانب التشريعي الذي اجاز فيه الشرع للمسلم الزواج من اليهودية، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل السيدة ريحانة بنت عمرو من اسرى بني قريضة في ملكه، إلى ان التحق بالرفيق الاعلى[17]، وفيها يشير ابن هشام[18] في سيرته انها عندما عرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم الزواج قالت ((بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك)) فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وابت الا اليهودية، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه لذلك من امرها، فبينما هو في مجلس مع اصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال : " إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة " . فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسره ذلك من امرها، وهذه الرواية تعكس التعامل الانساني الذي رأته ريحانة من المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي أذاب مع الايام جليدها من العناد والتعصب وارجعها الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو جل ماكان يتمناه النبي صلى الله عليه وسلم من تعامل مع الناس وكيف لا وهو الرحمة المهداة اليهم، ومن الامور الجديرة بالذكر في صدد زواج النبي صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله عنها فانها قد أقدمت على عمل اصبح تشريعا للمسلمين، فيذكر ابن سلام[19]، (أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم تصدقت على ذوي قرابة لها ، فهما يهوديان ، فبيع ذلك بثلاثين ألفا) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تصدق صدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تجرى عليهم)[20]، وهي تعكس عن سماحة الاسلام ورحمته بالعالمين وتؤكد حقيقة امر الله سبحانه وتعالى لقوله چ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ چ[21]، فمن المعروف انه لم يكن هناك اسرى من المسلمين آنذاك انما هم من المشركين فأمر الله عباده باطعامهم والتصدق لهم، وما يعزز ذلك قوله تعالى ايضا چ ﭽ ﭾ

چ چ چ چ ڇ ڇ ڈ ڈ ډ ډ ڊ ڊ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ گ گ گ گ گ گ چ [22].

التسامح مع اليهود في الجانب العسكري

وتبقى المسائل العسكرية والجهادية لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأس سنان عمل المسلمين، وقد تجلت صور رائعة من تسامح النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ولكي نبرز جوانب منها فان الحقيقة في ان هذه الصور كثيرة وتفرد لها المصادر مساحات واسعة، كل ذلك ليفهم الناس حقيقة الدين الاسلامي الذي جاء لينقل العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن جور الحكام الى عدل الله الواحد القهار ومن الظلمات والمهاترات للامم السابقة الى نور الاسلام الذي اضاء نوره الدنيا، وسنأخذ على سبيل المثال لا الحصر بعض ما اظهره النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود من تسامح ففي معركة الاحزاب سنة 5هـ وللحقيقة نقول ان العهد الذي كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة ، احترم اليهود هذا العهد بادئ الامر وعندما حاول حيي بن أخطب محاورة احد زعمائهم كعب بن أسد صاحب عقد بني قريضة وعهدهم للانضمام الى حلف قريش وحزبهم ابى اول الامر قائلا كما روى البيهقي[23] (ويحك يا حيي إنك امرؤ مشئوم وإنه لا حاجة لي بك ولا بما جئتني به إني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء وقد وادعني موادعة فدعني وارجع عني)، ولكن الحاح حيي عليه جعله يميل اليه ويتخذ قرار الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ولعظمة سماحته صلى الله عليه وسلم لم يتخذ قراره بهم بعد ان امكنه الله منهم فانه عزم على ان يأخذ بالصفح عنهم بعد ما التمس البعض من الانصار منه ذلك[24]، ولم يحب مخالفتهم لرغبتهم تلك وليوصل رسالته العظيمة بالسماحة والعفو والصفح عن المسيئين وناكثي العهود، ومن الصور الاخرى في خيبر سنة 7هـ أمكن الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم منهم الا انه وكشأنه دائما بالعفو والصفح فقد عفا عنهم وقاسمهم اموالهم وابقى لهم الارض، روى ابن هشام[25] ذلك بالقول (فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف)، وبلغ في غزوة خيبر تمادي النساء من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن هشام[26] (إذ قدمت زينب بنت الحارث إمرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (مشوية) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع ، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ارفعوا أيديكم " وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها " أسممت هذه الشاة " قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال " أخبرتني هذه في يدي " للذراع ، قالت : نعم ، قال " فما أردت إلى ذلك ؟ " قالت : قلت : إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها).

ولعل ابدع صور التاثر التي كان عليها اليهود في الجانب العسكري هو ما كان عليه مخيريق اليهودي الذي نقل لنا صورة عظيمة من الاخلاص والحب والتفاني من أجل النبي صلى الله عليه وسلم، فروى ابن هشام[27] في معركة أحد 3هـ (وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون قال: لما كان يوم أحد قال: يا معشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق، قالوا: ان اليوم يوم السبت، قال : لا اسبت، فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فأموالي إلى محمد صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله عز وجل فلما كان يوم السبت وانكسفت قريش ودفن القتلى وجد مخيريق مقتولا به جراح فدفن ناحية من مقابر المسلمين ولم يصل عليه ولم يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ولا بعده يترحم عليه ولم يزده على أن قال : " مخيريق خير يهود ").

ولكي يذكي النبي صلى الله عليه وسلم سماحة الاسلام وعفوه عند المسلمين فانه صلى الله عليه وسلم قد ذكرهم بان العمليات العسكرية والجهادية لا تجعل المسلمين يحملون الطرف الخاسر أكثر من طاقتهم وهي اكبر معاني السمو الاخلاقي والصفح والسلام بقوله كما ذكر ابن سلام (" إنكم لعلكم تقاتلون قوما فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم ، ويصالحونكم على صلح ، فلا تأخذوا منهم فوق ذلك ، فإنه لا يحل لكم ")[28].وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر التذكير لاصحابه بضرورة حفظ العهد وعدم الغدر به ويوصي صحابته بضرورة احترام اهل الذمة الذين تكفل الاسلام بحمايتهم بقوله صلى الله عليه وسلم (" من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة ")[29]، وبعد فيمكننا القول ان الجهاد ليس امرا قتاليا وعسكريا بحتا بل هو امر حضاري وانساني معا، ذلك انه يفرض لأجل تحقيق غايات سلمية سامية فالاسلام يقر ان القتال وسيلة لاقرار السلام وتأصيل جذور الشر والعدوان والدفاع عن النفس. لقد اثبتت معارك النبي صلى الله عليه وسلم واخلاقيته في ذلك انه رجل السلام والتسامح وكان هذا قد انعكس على مجمل توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للامة فقال في حق التجار مثلا (" رحم الله عبدا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى ")[30]، وكان طالما ذكر الامة بضرورة العفو بقوله صلى الله عليه وسلم (" ما من جرعة أعظم أجرا عند الله ، من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله ")[31].وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في التسامح امرا لم يبلغه احد بعده، وهذا يتجلى فيما ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها وعن ابيها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا عندها فدخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مهلا يا عائشة ، إن الله يحب الرفق في الأمر كله " فقلت : يا رسول الله ، أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قد قلت : وعليكم ")[32].

ومن هذا وذاك فانه كان يقول صلى الله عليه وسلم للامة (: " ألا من ظلم معاهدا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة ")[33].

التحاور التسامحي مع اليهود

لا ريب ان اليهود يرون انهم شعب الله المختار وان الله قد فضلهم على كثير من الامم وقد اعطاهم من المنزلة والمكانة ما جعلهم يتميزون على من دونهم من الناس وكلها كانت اوهام تعشش في عقولهم الجوفاء لذلك نظروا الى العالمين نظرة ازدراء واستعلاء فلذلك كانت قلوبهم جوفاء وعقولهم خاوية من كل حجة يدحضون بها سيل الاسلام الهادر والالهام الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم عجزت عن محاورته عقولهم وسادتهم وامراءهم، وكلما ارادوا ان يحرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسئلة ما فانهم ما لبثوا يرضخون لصوت الحلم والعقل والعلم الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، بل انهم من خلال محاولاتم هذه كانوا يمنون النفس بان يثنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه ولكن في كل مرة يخيب ظنهم ولا يزيد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الا اصرارا على نشر دين الله للعالمين بكل تسامح وسلام بل ان الروايات تشير الى ان اغلب هذه الحوارات كانت مجالا لاسلام بعضهم، وآلت النتيجة الى دخولهم بالاسلام والايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد اسهب ابن هشام[33] بالحديث عن تلك الروايات الكثيرة التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين وافرد لها صفحات كثيرة في سيرته ونزلت الايات القرآنية لتوثق بعض هذه الحوارات ومنها قوله تعالىﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [34]، والقرآن الكريم يحوي المئات من الأيات القرآنية التي تحدثت عن اليهود وكتب التفسير مليئة باحداثها ومواقفها ولا يخلوا أي تفسير من وصف عنادهم وعنجهيتهم في محاولة بسط افكارهم ومحاولاتهم بالغدر بالمسلمين ومحاولاتهم في ذلك، كما اجتمعت مثلا بني قينقاع بكل قبيلتهم على قتل رجل مسلم[35] والغدر بالمواثيق والمواعيد فكانت هذه سمتهم لانهم كانت لديهم فكرة المادة والقوة التي تحكم نفسياتهم المريضة والبعيدة كل البعد عن النهج الرباني في خلقه للناس. وكجزء من علاقات الرسول صلى الله عليه وسلم التسامحية والتعامل معهم فأنه صلى الله عليه وسلم قد رهن درعه عند يهودي كما يذكر ابن سعد [36](" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وإن درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير طعاما أخذها لأهله "). كما ان تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم قد جعل اليهود يدرسون كل صغيرة وكبيرة في سيرته العطرة وتعامله الانساني معهم لذلك نرى يهودي يعمد على اختيار حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأهمية هذه الرواية التي ذكرها ابن سعد [37]فاني اضعها كما هي واختتم بها البحث (ما كان بقي شيء من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا رأيته إلا الحلم ، وإني أسلفته ثلاثين دينارا إلى أجل معلوم فتركته حتى إذا بقي من الأجل يوم أتيته ، فقلت : يا محمد اقض حقي فإنكم معاشر بني عبد المطلب مطل ، فقال عمر : يا يهودي الخبيث ، أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عيناك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " غفر الله لك يا أبا حفص نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما علي وهو إلى أن تكون أعنته في قضاء حقه أحوج " قال: فلم يزده جهلي عليه إلا حلما قال : " يا يهودي ، إنما يحل

حقك غدا " ثم قال : "يا أبا حفص اذهب به إلى الحائط الذي كان سأل أول يوم ، فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا وزده لما قلت له كذا وكذا صاعا ، فإن لم يرض فاعطه ذلك من حائط كذا وكذا " ، فأتى بي الحائط فرضي تمره فأعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمره من الزيادة ، قال : فلما قبض اليهودي تمره ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلا أني قد كنت رأيت في رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته في التوراة كلها إلا الحلم ، فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة ، وإني أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين ، فقال عمر : فقلت : أو بعضهم ، فقال : أو بعضهم ، قال : وأسلم أهل بيت اليهودي كلهم إلا شيخا كان ابن مائة سنة فعسا على الكفر).

الهوامش

(1) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 428/1–429؛ ابن قيم الجوزية، مختصر زاد المعاد، ص170.

(3) سورة البقرة: ٨٩.

(4) ابن سعد، الطبقات، 155/1؛ الماتريدي، تأويلات مختلف اهل السنة، 189.

(5) ابن هشام، السيرة، 254.

(6) ابن هشام، السيرة، 254؛ ابن سلام، الاموال، 137.

(7) ابن هشام، السيرة، 254.

(8) ن.م،255.

(9) ن.م، 255.

(10) ن.م، 254.

(11) سورة الإسراء: ٧٠.

(12) صحيح البخاري، رقم الحديث 1311؛ ابو داود، السنن، 204/3؛ النسائي، السنن، 45/4.

(13) صحيح، رقم الحديث، 1326.

(14) سورة الحجرات: ١٣.

(15) ينظر: ابن هشام، السيرة، 498–499.

(16) ابن هشام، السيرة، 563؛ اليعقوبي، تاريخ، 47/2.

(17) ابن الوردي، تاريخ، 117.

(18) ن. م.، 511؛ اليعقوبي، تاريخ، 43/2؛ الطبري، تاريخ، 592/2.

(19) الاموال، 605.

(20) ن.م، 605.

(21) سورة الإنسان: ٨.

[22] سورة البقرة: ٢٧٢.

[23] دلائل النبوة، 428/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 84/4.

[24] الطبري، تاريخ، 586/2.

[25] السيرة، 564؛ الطبري، تاريخ، 15/3؛ ابن الوردي، تاريخ، 120/1.

[26] ن.م، 564؛ الطبري، تاريخ، 15/3.

[27] السيرة، 427؛ الطبري، تاريخ، 531/2.

[28] الاموال، 157.

[29] ابو داود، السنن، 83/3؛ ابن ماجة، السنن، 896/2.

[30] ابن ماجة، السنن، 745/2.

[31] ن.م، 1401/2.

[32] البخاري، صحيح، رقم الحديث 5684.

[33] ابو داود، السنن، رقم الحديث 2670.

[33] السيرة، 558.

[34] سورة آل عمران: ١٨١.

[35] ابن هشام، السير، 47/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 6/3.

[36] الطبقات، 488/1؛ ينظر : البخاري، صحيح، رقم الحديث 2780؛ ابن ماجة، السنن رقم الحديث 2435.

[37] الطبقات، 361/1.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. **ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1232م)**
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979م.
2. **الازرقي، ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد (ت250هـ/864م).**
اخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1979م.

3. **ابن اسحاق، محمد بن اسحاق المطلبي، (ت151هـ/768م).**
السيرة والمغازي، تحقيق سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1978م.
4. **البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت256هـ/869م).**
صحيح البخاري، دار الفكر، بغداد، 1986م.
5. **البروسوي، اسماعيل حقي (ت1137هـ/1724م)**
تنوير الاذهان في تفسير روح البيان، تحقيق محمد الصابوني، ط1، دار النهضة، بغداد، 1409هـ/1990م.
6. **البيهقي، ابي بكر احمد بن الحسين.(ت 458هـ)**
دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
7. **الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت297هـ/909م)**
شمائل الرسول، ط1، دار الجيل، بيروت، 1409هـ/1989م
8. **ابو داود، سليمان بن الاشعث الازدي، (ت275هـ/888م).**
سنن ابي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (لا.ت).
9. **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن البكري، (ت606هـ/1201م)**
التفسير الكبير، ط2، دار الكتب العلمية، طهران ، (لا.ت).
10. **ابن العوام، عروة بن الزبير، (ت94هـ/712م).**
مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواية ابي الاسود الدؤلي، مكتبة العربي، الرياض، 1981م.
11. **الزهري، محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب (ت124هـ/741م).**
المغازي، تحقيق سهيل زمار، دار الفكر، دمشق، 1981م.
12. **ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت230هـ/844م).**
الطبقات الكبرى، ط1، دار صادر، بيروت، 1968م
13. **ابن سلام، ابو عبيد القاسم بن سلام (224هـ).**
الاموال، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
14. **الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ/922م).**
أ. جامع البيان في تفسير القرآن، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1972م.
ب. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المعارف، القاهرة، 1961م.
15. **القرطبي، ابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري، (ت671هـ/1272م).**
الجامع لاحكام القرآن، تحقيق احمد عبدالعليم، القاهرة، 1965م.
16. **ابن كثير، ابو الفداء الحافظ اسماعيل، (ت774هـ/1372م).**
أ. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مطبعة دار المعرفة، بيروت، 1971م.
ب. شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق مصطفى عبدالواحد، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1976م.
ت. تفسير القرآن العظيم، الدار العصرية، القاهرة، لا.ت.
17. **ابن ماجة، ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (ت275هـ/888م).**

سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث،بيروت، لا.ت.

18. مسلم، الامام ابو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت269هـ/882م).

صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، مطبعة دار الفكر، بيروت، 1983م.

19. النسائي، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب بن علي (303هـ/915م).

سنن النسائي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ت.

20. ابن هشام، ابو محمد عبدالله الحميري، (ت213هـ/822م).

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة منير، بغداد، 1986م.

21. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت208هـ/822م).

المغازي ، تحقيق مارسدون جونسن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1348م.

22. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ)

تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

23. البعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت292هـ).

تاريخ البعقوبي، المكتبة الحيدرية، النجف، 1964.

24.Walt. W. M.: Muhammad at mecca (Oxford).

25.Walt. W. M.: Muhammad at medina (Oxford) 1956.